بسم الله الرحمن الرحيم

مكانة بيت المقدس عند المسلمين عامة والفلسطينيين خاصة

الحمد لله الذي شرفنا وبَوَّأنا أفضلَ بلاده، وأكرمنا فجعلنا من أتباع خيرِ عباده، والصلاةُ والسلامُ على خاتَمِ رسله وأنبيائه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، الذين استنار بهم الوجودُ فكانوا خِيرةَ أصفيائه.

أما بعد،،،

فإنّ مما هو معلوم عند العقلاء أنَّ شرف العلم بالمعلوم، فكان أشرفُ العلوم وأفضلها على الإطلاق ما تعلق بالله سبحانه وتعالى، ومن خلقه ما تعلق برسله وأنبيائه وملائكته وأصفيائه، ثم ما يتعلق بما جُعل مستقَراً لأحبائه كمكة والمدينة وبيت المقدس مجمَعِ أنبيائه عليهم أفضل الصلاة والسلام، ثمَّ ما تعلق ببعض الشهور والليالي والأيام.

إنَّ أفضل خلق الله وأشرفهم وأكرمهم على الله تعالى هم الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين ميَّزهم الله سبحانه وتعالى عن سائر خليقته بعظيم نعمته، قال تعالى: ﴿ وَكُلاً فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾(1)، وفضَّل سبحانه وتعالى بعضهم على بعضٍ بجَليلِ مِنَّتِه فقال جلَّ وعلا: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾(2)، وأمَرَنا تعالى بتفضيل سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وسلم على جميع الخلائق بلا استثناء فقال سبحانه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾(3)، ومن المعلوم أن التفضيل إذا كان من قِبَلِ المُشرّع لا يجوز لأحدٍ أن يخالفه، بل الواجبُ هو

---

(1) سورة الأنعام: من الآية 86.

(2) سورة البقرة: الآية 253.

(3) سورة الأنبياء: الآية 107.

البحث والتفكير من أجل العمل على تنفيذ أمره تعالى، ومن هذا القبيل تفضيلُ بعض الأزمنة على بعض، كتفضيل شهر رمضان على سائر الشهور، ويوم عرفة على سائر أيام السنة، وليلة القدر على سائر الليالي، ويوم الجمعة على سائر أيام الأسبوع، والساعة التي يستجاب فيها الدعاء على بقية ساعات اليوم، كذلك تفضيلُ بعض البقاع على بعض، كتفضيل السماوات على الأراضين، ومكة والمدينة وبيت المقدس على سائر بقاع الأرض، وما يخصنا في هذا البحث المختصر وفق ما طلبَ منا بعضُ الأفاضل هو مزيةُ بيت المقدس ومكانته عند المسلمين عامة، وفي قلوب الفلسطينيين خاصة، إذ هو المعنيُّ بهذه الرسالة، قال تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾(1)، وقال تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾(2)، وقال سبحانه: ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴾(3)، اتفق المفسرون والفقهاء وعلماء التاريخ وغيرُهم أن المقصود من هذه الآيات هو بيتُ المقدس وما حوله، فكل ما حوله بورك لأجله وليس العكس، فبلاد الشام بوركت لأجله، وإن كان العلماء في تعريف حدود بلاد الشام على آراءٍ كثيرة ليس هذا محلُّ بسطها، فإنهم متفقون على أن مركز بلاد الشام وأوسطها بيتُ المقدس، فهُو مثل فاتحة الكتاب في الصلاة عند الجمهور، تجزئ قراءتها عن غيرها ولا تصح الصلاة بدونها، وهذا تشبيهٌ بليغٌ نصَّ عليه

(1) سورة الإسراء: الآية 1.

(2) سورة الأنبياء: الآية 71.

(3) سورة الأنبياء: الآية 81.

العلماء الأولياء العاملون المجاهدون مما فهموه من جملة الآيات والأحاديث التي تكلمت عن فضائل بيت المقدس خاصةً وبلاد الشام عامةً.

فضائل بلاد الشام:

أما فضل الشام وأهلها فقد ورد فيه أحاديث كثيرة منها ما رواه شُرَيْح بْنَ عُبَيْد قَالَ: ذُكِرَ أَهْلُ الشَّامِ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام وَهُوَ بِالْعِرَاقِ فَقَالُوا: الْعَنْهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ عليه السلام: لا، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يَقُولُ: ﴿ الأَبْدَالُ يَكُونُونَ بِالشَّامِ، وَهُمْ أَرْبَعُونَ رَجُلاً، كُلَّمَا مَاتَ رَجُلٌ أَبْدَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ رَجُلاً، يُسْقَى بِهِمُ الْغَيْثُ، وَيُنْتَصَرُ بِهِمْ عَلَى الأَعْدَاءِ، وَيُصْرَفُ عَنْ أَهْلِ الشَّامِ بِهِمُ الْعَذَابُ ﴾[1]، والحديث له طرقٌ وشواهد كثيرة عند أكثر الحفاظ بسندهم إلى صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد قال السيوطي[2] عند كلامه في "الخبر الدال على وجود القطب والنجباء والأوتاد والأبدال" ما نصه: "ورد في ذلك مرفوعاً وموقوفاً من حديث عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وأنس بن مالك، وحذيفة بن اليمان، وعبادة بن الصامت، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن مسعود، وعوف بن مالك، ومعاذ بن جبل، وواثلة بن الأسقع، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، وأبي الدرداء، وأم سلمة رضي الله تعالى عنهم، ومن مرسل الحسن، وعطاء، وبكر بن خُنيس، ومن الآثار عن التابعين ومن بعدهم ما لا يحصى"ا.هـ.

---

(1) أخرجه أحمد في المسند: ج/2، ص/360، ح/854، والحاكم في المستدرك: كتاب الفتن والملاحم، ج/4، ص/596، ح/ 8658، والطبراني في المعجم الأوسط: ج/4، ص/176، ح/3905، وفي المعجم الكبير: ج/18، ص/65، ح/120، وابن عساكر في تاريخ دمشق: باب ما جاء أن بالشام يكون الأبدال الذين يصرف بهم ج/1، ص/289، والطبري في تهذيب الآثار: ج/1، ص/377، ح/687.

(2) الحاوي للفتاوي: ج/2، ص/230.

فضائل بيت المقدس:

وأما بيت المقدس فهو قلب بلاد الشام ومركزها، يصح أن يذكر بدلاً عنها، ولا يصح تسميتها بدونه بلا خلافٍ عند جميع العلماء، ففيه المحشر والمنشر يوم القيامة، وإليه مَهاجر سيدنا المهدي وقدوم سيدنا عيسى عليهما السلام، دلَّ على ذلك كثيرٌ من الأحاديث منها ما جاء عن السيدة مَيْمُونَة مَوْلاة النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ قَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَفْتِنَا فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَقَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ أَرْضُ الْمَنْشَرِ وَالْمَحْشَرِ ﴾[1]، وكذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ لا تزال أمتي ظاهرين على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم فيقول إمامهم : تقدم فيقول: أنتم أحق بعضكم أمراء بعض أمر أكرم الله به هذه الأمة ﴾[2]، وقد ورد هذا الحديث عن أكثر من عشرين صحابياً بألفاظ مختلفة فيها ذكر بيت المقدس إما بالتصريح أو التلويح كما نصَّ عليه الحُفاظ، فهو حديثٌ متواترٌ مفيدٌ للعلم اليقيني، من أنكر معناه فقد كفر كما هو مصرح به في كتب العقائد عند أهل السنة والجماعة، ومن هذه الروايات:

1- عن مُعَاوِيَةَ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يَقُولُ: ﴿ لا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ﴾[3]، قال عُمَيْرٌ: فَقَالَ مَالِكُ بْنُ يُخَامِرَ، قَالَ مُعَاذٌ: وَهُمْ بِالشَّامِ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: هَذَا مَالِكٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاذاً يَقُولُ: وَهُمْ بِالشَّامِ.

---

(1) أخرجه أحمد في المسند: ج/56، ص/159، ح/ 26343، والطبراني في المعجم الكبير: ج/25، ص32، ح/55.

(2) أخرجه أبو يعلى الموصلي في المسند: ج/4، ص/59.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه: ج/11، ص/473، ح/3369، ومسلم في صحيحه: ج/10، ص/41، ح/3549، وأحمد في المسند: ج/34، ص/239، ح/16276، والطبراني في المعجم الأوسط: ج/8، ص/100، ح/8397.

2- عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: ﴿ لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ، لَعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، إِلا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لأْوَاءَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَيْنَ هُمْ؟، قَالَ: بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ﴾(1).

3- عن مُرَّةَ البُهزي أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ﴿ لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين على من ناوأهم وهم كالإناء بين الأكلة حتى يأتي أمر الله وهم كذلك، قلنا: يا رسول الله وأين هم؟، قال: بأكناف بيت المقدس ﴾(2).

4- عن سَلَمَةَ بْن نُفَيْلٍ أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ قال: ﴿ لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ، يَرْفَعُ اللَّهُ قُلُوبَ أَقْوَامٍ فَيُقَاتِلُونَهُمْ وَيَرْزُقُهُمْ اللَّهُ مِنْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، أَلَا إِنَّ عُقْرَ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ، وَالْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾(3).

5- وعن قُرَّة بن إياس قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: ﴿ إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلا خَيْرَ فِيكُمْ، وَلا يَزَالُ أُنَاسٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ لا يُبَالُونَ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ ﴾(4).

فهذه بعض ألفاظ الأحاديث التي توضح المعنى المراد من ﴿ الطائفة ﴾، وقد ألف بحديث ﴿ الطائفة ﴾ شيخ شيوخنا الحافظ المجتهد أحمد بن الصديق الغماري الحسني

(1) أخرجه أحمد في المسند: ج/45، ص/281، ح/ 21286، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة: ج/3، ص/90، ح/2511.

(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ج/20، ص/ 317، ح/754.

(3) أخرجه أحمد في المسند: ج/34، ص/318، ح/ 16351.

(4) أخرجه أحمد في المسند: ج/31، ص/191، ح/ 15043.

رحمه الله رسالة عجيبة سماها (الأجوبة الصارفة لإشكال حديث الطائفة)، ولله در الإمام السيوطي حيث يقول(1):

وَخُـذْهُ حَيْـثُ حَـافِظٌ عَلَيْـهِ نَـصّ وَمِـنْ مُصَـنَّفٍ بِجَمْعِـهِ يُخَـصّ

وكذلك ما جاء من سُنيَّة شدِّ الرحال إلى المسجد الأقصى بلا سبب، قال صلى الله عليه آله وسلم: « لا تَشُدُّوا الرِّحَالَ إِلا إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِي هَذَا وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمَسْجِدِ الأَقْصَى »(2).

ومن ذلك أيضاً ما جاء في إسراج الزيت فيه ورد عَنْ مَيْمُونَةَ مَوْلاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفْتِنَا فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَقَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: « ائْتُوهُ فَصَلُّوا فِيهِ - وَكَانَتْ الْبِلادُ إِذْ ذَاكَ حَرْباً- فَإِنْ لَمْ تَأْتُوهُ وَتُصَلُّوا فِيهِ فَابْعَثُوا بِزَيْتٍ يُسْرَجُ فِي قَنَادِيلِهِ »(3)، وتمثيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالزيت إنما جاء ليدل على وجوب الجهاد في هذه الأماكن بالمال لمن لم يقدر على الجهاد بالنفس، وهو استدلال بما هو أدنى على ما هو أعلى، وذلك من جوامع كلمه صلى الله عليه وآله وسلم، مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(4).

ومن ذلك أيضاً ما جاء فيه أنه قبلة المسلمين الأولى، لما رواه الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم « صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْراً أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ

---

(1) ألفية السيوطي في علم الحديث.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه: ج/4، ص/388، ح/ 1122، ومسلم في صحيحه: ج/7، ص/47، ح/ 2383.

(3) أخرجه أبو داود في سننه: ج/2، ص/44، ح/ 386.

(4) سورة التوبة: الآية41.

شَهْراً وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ ﴾[1]، وهو شرح للآية التي تقول: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا، فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾[2].

ومن ذلك فضيلة الصلاة في مسجده لما رواه أبو الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره مائة ألف صلاة، وفي مسجدي ألف صلاة، وفي مسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة ﴾[3].

ومن ذلك استحباب الإحرام من بيت المقدس بالحج والعمرة لما رواه أبوداود وغيره عن أم سلمة رضي الله عنها مرفوعا: ﴿ مَنْ أَهَلَّ بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر أو وجبت له الجنة ﴾ ورواه ابن ماجه بلفظ: ﴿ مَنْ أَهَلَّ بِعُمْرَةٍ من بيت المقدس كانت له كفارة لما قبلها من الذنوب ﴾ وفي لفظ له: ﴿ مَنْ أَهَلَّ بعمرة من بين المقدس غفر له ﴾، ولما رواه مالك في الموطأ وابن عبد البر والبيهقي أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أهل من إيلياء، وروى ابن حزم في كتابه محلى الآثار أن عبد الله بن أبي عمار كان مع معاذ بن جبل وكعب الخير فأحرما من بيت المقدس بعمرة وأحرم معهما.

ومن ذلك أن منها ينتشر العدل آخر الزمان ويمحق الظلم، وهي أيضاً الأرض المبدلة التي لا جبال ولا وديان فيها، ناهيك عما حصل فيها من جمع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم وصلاته بهم إماماً، ومن ثم عروجه على سُلمِ المرقاة

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه: ج/1، ص/71، ح/ 39.

(2) سورة البقرة: من الآية 144.

(3) أخرجه البزار في مسنده البحر الزخار: ج/2، ص/118، ح/4142.

إلى السماء، وهي أيضاً مهاجر كل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وغالب مدافنهم، إلى غير ذلك من الفضائل التي يصعب حصرها في هذا المقام، ولا ننسى أيضاً ما جاء في كثير من الأحاديث الصحيحة من ذكر اللد والخليل وبيسان وأريحا وبحيرة طبريا، وقدوم يأجوج ومأجوج، وقد أعرضت عن ذكرها خشية التطويل، كل ذلك يدل على فضل بيت المقدس وما حوله وما يرتبط بهذه الأماكن من أحداث مصيرية للبشرية جمعاء تمس صلب العقيدة.

ذكر بعض التآليف التي اختصت ببيت المقدس:

وبالرغم من جلالة مكة والمدينة وأفضليتهما على بيت المقدس عندنا معاشر المسلمين، إلا أنَّ ما جاء في بيت المقدس من الأخبار قرآناً وسنةً في فضله تفخيماً وتعظيماً يفوقهما معاً، وقد ذكر في كل الكتب السماوية بدون استثناء، وهذا من أغرب ما عُرف في التاريخ، وقد أُلفت فيه تآليفٌ خاصةٌ مستقلة وهي كثيرة جداً من أنفعها: (ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام) لسلطان العلماء العز بن عبد السلام الشافعي, و(مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام) لشهاب الدين أبي محمود بن تميم المقدسي, و(الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل) لقاضي القضاة أبي اليمن مجير الدين الحنبلي, و(فضائل بيت المقدس) للحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي الحنبلي, و(إتحاف الأَخِصَّا بفضائل المسجد الأقصى) لمحمد بن شهاب الدين أحمد بن علي بن عبد الخالق المنهاجي المعروف بشمس الدين السيوطي وغيرهم كثير، وهناك من المعاصرين من جمع كتباً ووثقها بالصور وهي نافعة جداً في بابها؛ لأنها وثقت كثيراً من المعالم التاريخية التي تمت إزالتها من قبل المحتلين.

وبعد هذا البيان الشافي من مصادر التشريع الثلاث: الكتاب والسنة والإجماع الدالة بمنطوقها ومفهومها على أهمية هذه البقاع عند الله سبحانه وتعالى، وعند رسله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام.

حكم الهجرة من بلاد فلسطين:

وبناءً على ما تم تأصيله ونقله عن العلماء سلفاً وخلفاً فلا يجوز لأحدٍ أن يتهاون بشرع الله فيتلاعب بمصير البلاد والعباد لهوىً في نفسه، مع وجوب العلم أن الحق لا يسقط بتقادم العهد والزمان مهما طال، ولكن الواجب على الحكام الحكماء أن يتقنوا فنون السياسة الشرعية وأن يعرفوا غاية المعرفة متى يكون الإقدام، ومتى يكون الإحجام، ومتى يُرتكب أخف الضررين للحِفاظ على ما تبقى من بلاد المسلمين لحين تغير الظروف والمعطيات الاستراتيجية، مع أهمية الإعداد لذلك علماً وعملاً، قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴾(1)، فيفهم من هذه الآية أن الإعداد واجبٌ، وهو يختلف من زمانٍ إلى زمان، ومن مكانٍ إلى مكان، والآية بعمومها دالةٌ على ذلك دلالةً صريحةً؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وكذلك عملاً بالقاعدة التي تقول: "ما أدى إلى الواجب فهو واجب"، لذلك اتفق العلماء على أن الهجرة من هذه الأماكن خاصة ومن بلاد المسلمين عامة محرمةٌ من غير سبب شرعيٍ وجيهٍ، قال صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ لا هِجْرَةَ بَعْدَ

(1) سورة الأنفال: الآية 60.

الْفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ ﴾[1]، وقد ذكر العلماء جملة من الأسباب التي تُبيح الهجرة من بلاد المسلمين إلى غيرها من البلدان ومن أهمها: طلب العلم الذي يحتاجه الناس بكل أنواعه، وخاصة علم الدين؛ لأن الهجرة إليه واجبة، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[2]، ولكن لا بد للخارج منها أن يكون مستحضراً نية العودة إليها بعد انتهائه، ولا يضره إن مات أو قُتل أو مُنع من القدوم إليها بعد ذلك، وكذلك الهجرة من أجل المحافظة على الدين حتى ولو إلى بلاد الكفر، واشترطوا بأن لا يكون هذا إلا للضعفاء، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾[3].

حكم التجنس بجنسية غير المسلمين:

وقد جاء الشرع الإسلامي منفتحاً على كل الأمم شرط أن يؤثر هو فيها لا أن تؤثر هي فيه، فلا مانع أن يتأثر المسلم بحضارتها، وكل ما يدل على التطور والترقي فيها؛ لأن شرعنا يوجه إلى تطوير كل مناحي الحياة، ومن هذا تعلَمُ أن تَعْلَمَ لغة العدو لكي نسلم من شره، وتعلم لغات الأمم لإتقان التعامل معها واجبٌ كفائي، ولا يكون هذا إلا بالتعرف على هذه الأمم والشعوب ومخالطتها، وذلك لا يصح إلا للأقوياء عقيدةً وفهماً ونبلاً،

(1) أخرجه البخاري في صحيحه: ج/9، ص/345، ح/ 2575، ومسلم في صحيحه: ج/9، ص/427، ح/ 3468.

(2) سورة التوبة: الآية 122.

(3) سورة النساء: الآية 97.

ويعمم من خلالهم كل ما هو نافع من حضارة غيرنا للسواد الأعظم من المسلمين[1]، ولا يجوز للمسلم في حال مخالطته لهذه الأمم والشعوب أن يحمل جنسيتها إلا لضرورة، قال تعالى: ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾[2]؛ لأن في حمله لتلك الجنسية إقرارٌ لقانونها الذي يخالف القانون الإسلامي، وهذا لا يتنبه إليه كثيرٌ من الناس اليوم، لاسيما الذين يتصدرون للفتوى والعلوم الشرعية[3]، وهي مسألة في غاية الدقةِ والأهمية؛ لأن التجنس بجنسية الكافر والمعبر عنه عند القدماء بالرضا بحكم الآخر بلا سببٍ شرعيٍ وجيه يُباحُ من خِلالِهِ حمل جنسية غير المسلم, وإلا قد يؤدي بالمتجنس إلى الوقوع فيما لا تُحمد عقباه من الكبائر، بل واعتبروه مروقاً من الدين وذلك عملاً بقاعدة "الرضا بالكفر كفر"[4] وإن لم يقصده، إلا أن يكون مضطراً، والاضطرار عندنا يقدر بقدره ما لم يكن له بدل، قال تعالى: ﴿ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[5]، فما بالك بمن يفرُّ أو يلجأ إليها بلا سببٍ شرعيٍ وجيه على وفق ما فصلنا!!! ناهيك عما يسببه هذا الفرار من إضعافٍ وخذلانٍ لإخوانه من المؤمنين كما نص عليه الفقهاء في باب الجهاد وكما هو مستقرأٌ عبر أحداث التاريخ.

---

(1) انظر كتاب حكم الإقامة ببلاد الكفار وبيان وجوبها في بعض الأحوال: للسيد المحدث الأصولي عبد العزيز بن الصديق الغماري الحسني.

(2) سورة النساء: من الآية 141.

(3) انظر كتاب التجنس: للإمام محمد الشاذلي النيفر الحسيني المالكي.

(4) كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار للإمام تقي الدين الحصني الحسيني الشافعي: كتاب الجنايات، ص/ 739.

(5) سورة النحل: من الآية 106.

خاتمة:

إنَّ مما لا يُستغنى عنه في هذا المقام التحذير من بعض الكتب التي تُنزل فيها الآيات والأحاديث على غير المعنى المراد الذي فهمه السلف الصالح من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك الخلف المتبعون لمنهج السلف، فتنزل على أحداث تقع في هذا الزمان وهي غير متطابقة بل مخالفة كل المخالفة لأقوال من سبق ممن ذكرنا، فيؤدي ذلك إلى مخالفة ما جاء في القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وإلى مخالفة ما أخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم من كل ما يقع من أحداث في المستقبل، وكما هو معلوم عند علماء الأصلين[1] والفقهاء والمحدثين والمفسرين "لأَن يُخَطَّأ كل الناس ولا يخطأ القرآن ولا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام"، ومن هذا القبيل خطأ غالب المعاصرين في تفسير آية بني إسرائيل بأن نُزلت على الذين يغتصبون أرضنا اليوم، مع العلم بأن العلو المذكور في القرآن بفصليه قد تمَّ قبل تأسيس هذه الدولة الغاصبة بأكثر من ألف وخمسمائة سنة[2]، فعن عطية العوفي قال: "أفسدوا المرة الأولى، فبعث الله عليهم جالوت فقتلهم، وأفسدوا المرة الثانية فقتلوا يحيى بن زكريا عليهما السلام، فبعث الله عليهم بختنصر"[3]، ولكن يبقى لنا قول المولى سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ

(1) أصول الاعتقاد وأصول الفقه.

(2) انظر كتاب بيان صحيح الأقاويل في تفسير آية بني إسرائيل: للإمام الحافظ السيد عبد الله بن الصديق الغماري الحسني.

(3) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره: تفسير سورة الإسراء، ح/ 13562.

(4) سورة الأعراف: من الآية 167.

وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً﴾[1]، فهاتان الآيتان أبلغ في الاستدلال على زوال دولة اليهود؛ لأن معناهما يفيد الاستمرار والتجدد في كل الأزمان حتى يأتي أمر الله، ومن الأحاديث ما جاء عند البخاري[2] من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا الْيَهُودَ حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ وَرَاءَهُ الْيَهُودِيُّ يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ»، وما مرَّ معنا سابقاً من ذكر الطائفة المنصورة يوضح المعنى المراد من الآيتين السابقتين، ومن المعلوم بداهةً أن السنة مبينة للقرآن ولا تضاد في شرعنا بينهما؛ لأنهما من عند الله تعالى، فالأول جاء وحياً بعين اللفظ، والثاني بالمعنى، وبينهما الحديث القدسي، وما جاء في القرآن والسنة وإجماع أهل الحل والعقد من علماء المسلمين فيه غنى عن كل ما قيل ويقال، وقد ذكر محدث المغرب الأصولي السيد عبد العزيز الغماري الحسني رحمه الله في رسالته (الأربعين العزيزية)[3] ما نصه: «هناك أحاديث لم يظهر بعد ما تدل عليه وتشير إليه وهو واقع لا محالة كما وقع، وتحقق ما جاء الخبر به في الأحاديث الأخرى، فلا ينبغي تكلف شرحها، وحمل ألفاظها على المعاني البعيدة عنها التي يبدو عليها التكلف وعدم المطابقة للمعنى، كما سبق من العلماء الذين تناولوا هذه الأحاديث بالشرح، بل يجب ترك شرحها للمستقبل فهو الكفيل بذلك، وما سوى ذلك فتكلف لا معنى له »ا.هـ.

---

(1) سورة الإسراء: الآية 8.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه: ج/10، ص/71، ح/ 2709.

(3) الأربعون العزيزية فيما أخبر به النبي صلوات الله عليه من أحوال الوقت: للسيد المحدث الأصولي عبد العزيز بن الصديق الغماري الحسني.

كل ذلك حتى لا يكذب شرع الله؛ لأنه وحي لا يقبل إلا الصواب، وأما أقوال الناس فخطؤها أكثر من صوابها، وما ذكره النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الأحداث التي ستقع بين يدي الساعة هو من قبيل الخبر المتواتر الذي لا يقبل إلا الصدق، وهؤلاء الذين كتبوا في تفسير ما يقع من أحداث اليوم قد خبطوا خبط عشواء، فوقعوا وأوقعوا الناس في مخالفة صِدق الخبر الذي جاء على لسان من لا ينطق عن الهوى، فإن كانوا يقصدون بتفاسيرهم زوال دولة إسرائيل الزوال المؤقت فإنَّ هذا حصل على يد كثيرٍ من غير المؤمنين كجالوت وبختنصر، كذلك تسلط عليهم هتلر في القرن الماضي، أما إذا قصدوا الزوال الحقيقي والدائم فهذا لا يكون إلا على أيدي عبادٍ ربانيين أتقنوا الدين قولاً وعملاً، وإن كانت بوادره موجودة إلا أنه لم يستوفِ كامل الشروط حتى الآن، ولا نظن أنهم قصدوا المعنَيَيْن معاً؛ لأن ذلك غير واضحٍ في كتبهم، هذا إن كانوا يعرفونه أصلاً، زيادةً على أن هذه التفاسير والتنبؤات التي جاءوا بها تخالف ما قررناه سابقاً، مستغلين فيما كتبوه أسماء بعض الزعماء المعاصرين وبعض المجاهدين لكي يضمنوا أن لا يتعرض لهم أحد بالرد والتوبيخ والتجهيل، وقد غاب عنهم أن المجاهد في سبيل الله بنفسه وماله وولده وكل من دعا إلى الحق بغنى عن كل ما نسبوه إليه، كما أن لهذه التفسيرات والتنبؤات آثار سيئة عند العوام تزرع الأمل الواهم في نفوسهم، فإذا ما تبدد ذاك الوهم أصيب الناس بالإحباط الذي يسعى العدو بكل إمكانياته إلى تحقيقه فلا يجد إلى ذلك سبيلاً، ونقدم له بذلك خدمة لطالما انتظرها، فإلى الله المشتكَى، ملاذِ الخائفين وجارِ المستجيرين وأمانِ الحائرين وناصرِ المظلومين المستضعفين وقاهرِ الجبابرة المتمردين، وأنت من وراء القصد يا الله.

وكتب خادم العلم الشريف أبو الفضل أحمد بن منصور قرطام الحسيني المالكي التونسي الفلسطيني كان الله له ولوالديه ولمشايخه ولجميع المؤمنين بمَنِّهِ وفضله آمين, غزة الأعزة يوم الأربعاء 11 جمادى الأولى 1430 هجري الموافق له 6 مايو 2009 رومي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.